دراسة بطلة قصة
« يومياه، حياة صبية أفريقية »
لامنون شاموش

أ. م. د. صباح ناجي الشيخلي

مدخل :

الشخصية والشخصيات في القصة أو ما تعرف في الأدب الشعبي بالبطل، تعد عنصرا مهما جدا من عناصر العمل القصصي. والبطل هو ذلك الشخص الذي يلعب دورا رئيسا في القصة وتنطوي نفسه على صفات وقوى يتعاطف معها القراء دون غيره من الشخصيات وقد يكون صراع القصة بين هذه الشخصية وشخصية أخرى تتسم بصفات ينفر منها القراء ويدور الصراع داخل البطل نفسه أو يدور بينه وبين الأقدار(١).

والشخصية هي تمثيل أو تصوير لأشخاص من بني الإنسان ذات أهمية فائقة في القصص، كما إنها تعرض سمات بشرية(٢) والأشخاص في القصة مدار المعاني الإنسانية ومحور الأفكار والآراء العامة. ولهذه المعاني والأفكار المكانة الأولى في القصة منذ انصرفت إلى دراسة الإنسان وقضاياه، إذ لا يسوق القاص أفكاره وقضاياه العامة منفصلة عن محيطها الحيوي بل ممثلة في الأشخاص الذين يعيشون في مجتمع ما، فلا مناص من أن تحيا الأفكار في الأشخاص أو تحيا بها الأشخاص، وسط مجموعة من القيم الإنسانية يظهر فيها الوعي الفردي متفاعلا مع الوعي العام في مظهر من مظاهر التفاعل على حسب ما يهدف إليه الكاتب في نظرته إلى القيم(٣).

ولكي يحدد القاص أو الكاتب ملامح وحدود الشخصية التي يروم تقديمها للقارئ، لا بد أن يتبع إحدى طريقتين تعرف الأولى بالطريقة التفسيرية للتشخيص حيث يقوم القاص أو إي شخص آخر بوصف تلك الشخصية والتحدث عنها، أما الطريقة الثانية فهي التشخيص الدرامي التي ترينا الشخص في القصة أثناء تحركه ومن سلوكه وكلامه وأفكاره المسجلة نصل إلى نتيجة تتعلق بطبيعته وأهوائه وعلاقته بالشخوص الأخرى(٤).

ولمعرفة المزيد من المعلومات عن الشخصية في القصة وطبيعتها ونوعيتها ينبغي تحديد نوع الشخصية، فهناك ما يعرف بالشخصية البسيطة أو السطحية في صراعها غير المعقدة وتمثل صفة أو عاطفة واحدة أو ما تسمى بالشخصية الجامدة التي تبقى على وضعها دون تطوير من بداية القصة حتى نهايتها، وشخصية (الفارس) و(الراعي) في قصص الفروسية والرعاة من هذا النوع(٥). وهناك

أيضا ما تعرف بالشخصية النامية أو المتطورة المستغرقة في عاطفتها وتتعقد وتنمو شيئا فشيئا بصراعها مع الأحداث أو المجتمع فتنكشف للقارئ كلما تقدمت في القصة، ففي جوهر القصة توجد عادة شخصية أو شخص ينمو ويتطور حيث يحصل تغيير في شخصيته أو ينمو إلى مستوى إدراك جديد في الحياة[٦]. وقد ينطبق هذا الأمر على شخصية يومياه في القصة موضوع البحث.

والحقيقة إن رسم الشخصية هو المعيار الذي يقاس به نجاح أية قصة حتى القصة التي تنفي امكانية وجود شخصية موحدة ضمن عالم الفن، لذلك فان الغرض الأساس للقصة هو رسم الشخصية وبدون هذه الميزة لا توجد قصة بما في ذلك القصة المعاصرة[٧].

ويوجد لرسم الشخصية آو في الأقل محاولة رسم الشخصية جذور عميقة وتقليد طويل في تاريخ الأدب العبري، إذ يبرز في قصص المقرا (التناخ) على الرغم من الاختلاف الكبير القائم بينها، بُعد فني واحد وهو رسم الشخصية الفردية أي إن جميع الشخصيات تقدم إلينا على شكل أفراد سواء أكان ذلك ضمن الإطار المادي اليومي أم على المستوى النفسي الباطني وسواء أكان ذلك في لحظات الانتصار أم في لحظات الأزمات والمشاكل.

ويهدف القاص المقرائي دائما إلى إيجاد شخصية إنسانية تنمو من ارض الواقع الموضوعي أي شخصية تصوغ سجاياها الشخصية وقد استمر هذا التقليد في رسم الشخصية الحيوية طوال فترات التلمود وأساطير المدراش.

ونجد في قسم الهالاخاه من التلمود والمدراش أو ما يعرف بالقسم التشريعي اهتمام بالمجتمع وغرضه تقديم التعاليم للناس والشعب وهو لا يُعنى بأي فرد يحاول اجتياز حواجز القانون عندما تتعارض رغباته الشخصية مع تلك الوصايا المسلم بها، بينما تنحرف الاكاداه (الأساطير) عن الوظيفة التفسيرية مرارا عن مجالها النصي لترسم شخصية فردية معينة على مستوياتها الخارجية والداخلية[٨].

أما قصة حركة القبالاه[٩] فهي تركز على شخصيات المسيح الدجال وعلى الشخصيات التي تحارب الشيطان واتباعه وعلى الشخصيات التي تستعجل ظهور المسيح المنتظر وعلى الشخصيات المتميزة في العلوم والتصوف في الفلكلور الحسيدي، وكذلك ينطبق هذا الأمر على القصة الحسيدية[١٠]. الا إنها تدرك تماما الشيء المخفي ضمن أحلام المسيح الدجال[١١].

وشيئا فشيئا اخذ الأدب العبري الحديث في عصر الهسكالاه يقترب من حياة الأمة بوجه عام ومن حياة الكتاب بوجه خاص، وقد ازداد العنصر الشخصي في هذا الأدب ومن ابرز هذه الأمثلة ظهور ما يعرف باسم أدب العزلة لدى قصص اسحق دوف بركوفيتس حيث تحتل شخصية المعزول مكان الصدارة في الأدب العبري، وقد تعد قصة البطل المغترب قصة شخصية تحمل غالبا طابع السيرة

الذاتية، وهناك مرحلة أخرى وبخاصة عند الأديب برديجفسكي تتجسد في فشل هذا البطل في مد جذوره في العالم الغريب(١٢).

وإذا أخذنا مثالا آخرا وهو القاص الكبير مندلي موخير سفاريم، نجد إن المجتمع اليهودي يعد البطل القصصي الوحيد وان الأسماء الخاصة التي يعنى بها مندلي في قصصه لا تعد سوى مثالا وانموذجا عاما، بينما يجعل مندلي من نفسه في قصص أخرى مثل (كتاب المتسولين) و(في الأيام الخوالي) بطلا لقصصه، حيث كان يمتلك عينا ثاقبة ودقيقة تخترق جسم الإنسان وجوهر المشهد ثم تصفها وصفا فنيا دقيقا(١٣).

وقد يعد هدف القاص في تنمية بطل قصته وإيصاله إلى حد الثبات والقوة أمرا شخصيا يتمثل في إن ذلك البطل ينتمي إلى قوميته أو عرقه، وهذا ما نجده في طريقة مندلي في رسم شخصية بطله وتقويتها في رواية (مختصر رحلات بنيامين الثالث) (١٤)، وقد يكون ذلك جراء ما سيقدمه البطل من أفكار القاص وما سينفذه على ارض الواقع بين أبناء جلدته وهذا ما نجده في قصة امنون شاموش(١٥) موضوع البحث.

مضمون قصة يومياه :

حقيقية من يقرأ قصة (يومياه) للقاص العبري امنون شاموش يوقن تماما إن هذا الأديب يمتلك موهبة كبيرة في فن كتابة القصص، فقصته موضوع البحث تتضمن اغلب العناصر المهمة التي تجعل من عمله الأدبي ممتعا وموجها وذا مغزى بالنسبة للأطفال من أبناء جلدته وفوق هذا وذاك فهي تمتاز بعنصر التشويق والغرابة الذي يمنح القصة حيوية وديناميكية فريدة، ويمكن أن نسمي القصة بأنها قصة الشخصية إذا جاز لنا ذلك وهي مخصصة للأطفال والشباب حسبما يوضح ذلك عنوانها (يومياه حياة صبية أفريقية) قصة للأطفال والشباب.

ويؤكد علم النفس الحديث إن للطفل بحسب الفئة العمرية قابلية لحدوث تكيفات في حياته وسلوكه واتجاهه. وهذا ما اعتمدته فلسفة التربية الصهيونية كأحد مقوماتها وتسعى بواسطتها إلى خلق الإحساس بالتعاطف والولاء بين الأطفال اليهود، كما إنها تبدي اهتماما كبيرا بالتاريخ اليهودي وتمجيد البطولة اليهودية وتحريك نوازع الأطفال النفسية ورسم آمالهم في صور أدبية حديثة(١٦).

وتتحدث القصة عن يومياه تلك الفتاة الأفريقية السوداء بجدائلها وعاداتها وتقاليدها السائدة في قبيلتها وكيف استطاعت أن تتعلم اللغة الفرنسية والتكيف مع عائلة جانيت الفرنسية بعد ان انتقلت للعيش وسطها ثم السفر إلى إسرائيل لإكمال دراستها وتعلم العبرية والعودة إلى قريتها في محاولة مساعدة أبناء قبيلتها وإدخال ملامح التقدم إلى مدينتها من الناحية الصحية والاجتماعية والترفيهية فبدأت بإقامة مدرسة ومستوصف صحي وإيصال التيار الكهربائي والهاتف وما إلى ذلك من وسائل ثم الزواج وإنجاب الأطفال.

ومن الناحية الأدبية يمكننا القول إن أحداث القصة بسيطة وغير معقدة كما لن تسلسلها منطقيا وغير مبالغ فيه والفكرة جلية ولغة القاص وجمله سلسة ومفهومة ويسهل استيعابها وبخاصة بالنسبة للقراء الصغار.

وعلى الرغم من إن القصة قد أعدت لتكون من قصص الأطفال إلا إنها يطغى عليها الجانب الدعائي الذي يروج له القاص والذي يصب في مصلحة إسرائيل ومحاولتها بناء علاقاتها مع القارة السوداء والتغلغل بين ظهراني شعوبها التي تعاني الفقر والعوز والتخلف في اغلب الأحيان.

شخصية يومياه :

في البدء، لا بد أن نعلم كيف قام القاص امنون شاموش برسم الشخصية الأولى في قصته (يومياه) وهو أيضا اسم بطلته الفتاة الأفريقية السوداء، فمن الملاحظ إن القاص قد مزج بين طريقتين في تصوير هذه الشخصية تتمثل الأولى بعملية التشخيص التفسيري وهذا ما نلمسه في العديد من العبارات التي يقوم القاص شخصيا بإخبار القارئ عن بطلته السمراء ومميزاتها وقابليتها وموقعها في القبيلة التي تحيا وسطها وهذا ما نجده في مستهل القصة فيقول: **òåãé äéîåé ìù äîù íéòãåé íéøâååîä .äéîåé úàæ éî òãåé ãìé ìë .èáùä úåðëùî ìëá úàìôð äéìò øôñì**...(١٧) - اسم يومياه معروف في جميع أحياء القبيلة. فكل صبي يعرف من هي يومياه. ويجيد البالغون سرد الأعاجيب عنها ". ويقول القاص في موقع آخر من القصة: **úåôéå úåøåçù ,ãåàî úåìåãâ -äéîåéì äì åéä úåìåãâ íéèðéò îàî .ãåàî úåøåçù úåöåðúî úåöåðúî äéðéò åéä óøä éìá úåöåøúîå úåöåðúî äéðéò åéä**...(١٨) "كانت تمتلك يومياه عينين واسعتين.. واسعتين جدا، سوداوين جدا وجميلتين جدا وكانتا تتوهجان وتجولان بلا توقف... ".

وهكذا نجد العديد من هذه العبارات في القصة التي يستخدمها القاص لتصوير شخصيته إلا انه لم يكتف بذلك بل سعى إلى دمج طريقة أخرى معها تتمثل بالتشخيص الدرامي من اجل أن يوصل جميع حركات وسلوك وأفكار وكلام بطلته إلى القارئ بأقصر الطرق، ويقول القاص بهذا الخصوص على سبيل المثال لا الحصر: **.ïðò åúåàá äìëúñäå äãáî äøúåð äéîåé òéúôî ïåéæéç äúàø àéä ÷áàä ïðò êåúáå åîöîèöð äéðéò**(١٩) . بقيت يومياه لوحدها وأمعنت النظر في تلك السحابة انكمشت عيناها فرأت في وسط سحابة الغبار مشهدا مذهلا ".

ويقول القاص في مكان آخر من القصة: **äúèéîá äéîåé ääëù äëåøà äòù òîãøðù ãò**(٢٠) - اضطجعت يومياه فترة طويلة على سريرها حتى هجعت -(٢١).

ويضيف القاص قائلا: äçéìöä àì êà ,úÔî ãò äôéé÷ äúéé÷ íãøéäì[٢٢]

" كانت منهكة إلى حد كبير إلا إنها لم تنجح في الرقاد "، ويرد القاص قوله: äèéîä ïî ääöé á÷ô, äöéô äçúô úìãä úà äöéöää äöåçä[٢٣] " غادرت فراشها بقفزة، فتحت الباب وراحت تنظر صوب الخارج ".

وهكذا نرى إن القاص يحاول أن يتبع اكثر من طريقة لرسم شخصية بطلته في القصة وتوضيح الخطوط العامة لتلك الشخصية وسبر غورها. وتعد شخصية يومياه بطلة القصة شخصية نامية شرع شاموش بتطويرها من صبية تبلغ الثامنة من عمرها äúéé÷ äðåîù ìéâ ãòäî éåîâé øôëä úåðá ìëë äéîâé[٢٤] " حتى سن الثامنة كانت يومياه كبقية بنات القرية " حتى اصبحت أم تحمل طفلها الأول الذي أسمته غاي íðáì øåëää ø÷åàò äéîâé åääéãåîå éâ íùá[٢٥] - أطلقت يومياه وموديبو على ابنهما البكر اسم غاي ".

ويجعل القاص هذه السيرة الطويلة من تطوير شخصية يومياه الأبرز في القصة في جملة واحدة اوردها في نهاية قصته بقوله: äéîåéî äìéòô úåçô äðéà íää äéîâé[٢٦] äøòðä لم تكن يومياه الأم اقل نشاطا من يومياه الصبية ".

وهكذا فنحن إزاء مسيرة طويلة من بناء شخصية بطلة القصة يومياه التي تبناها القاص شاموش لتطويرها مذ كانت في الثامنة من عمرها داخل بيت أبيها وأمها وسط قبيلتها الأفريقية التي يخيم عليها الجهل وسوء البيئة وسيادة عادات وتقاليد بدائية وخرافية في اغلب الأحيان، حتى تعلمها اللغات وعادات المجتمعات المتقدمة ومحاولتها لإدخال عناصر التقدم إلى قريتها ثم زواجها وبلوغ ابنها البكر الثانية من عمره.

وقد بدأ شاموش عملية بناء شخصية يومياه وتطويرها مستندا إلى عدد من الدعائم المساعدة لذلك والتي يحاول إيصالها إلى القارئ، كالثقافة وأهميتها في بناء المجتمعات وتقدمها،فبعد أن عرض موقع بطلته الصبية وسط أفراد أسرتها الكبيرة ومكانتها لدى أبيها وحالة العادات والتقاليد السائدة في تلك المجتمعات الأفريقية التي يسيطر عليها عراف القبيلة ورئيسها، يشرع القاص باستخدام تكنيك نقل بطلته الصبية من ذلك الوسط الذي يصعب عليه للوهلة الأولى تطويرها فيه إلى وسط آخر اكثر تقدما تسوده الأعراف والقيم الراقية والمتمثل بتلك الأسرة الفرنسية الموجودة في أفريقيا والتي يعمل (ديالو) شقيق يومياه سائقا لدى تلك الأسرة، وهكذا تأتي الخطوة الأولى في مسيرة التطوير أو بناء شخصية يومياه والتي أطلق عليها القاص تسمية (الثورة) في حياة يومياه بقوله:

àåä .åìàéã øåëää äéçà úåëæá ,äìéçä äéîåé ìù äééçá äëôäîä åúçôùî íò øâ øùà ïáì ùéà ìù åâäðë äãåáò ìáé÷å äøéòä àöé äøéäîøéòá[٢٧] " لقد بدأت الثورة في حياة يومياه بفضل أخيها الكبير ديالو الذي توجه إلى المدينة وحصل على عمل هناك بصفة سائق لرجل ابيض يسكن مع عائلته في العاصمة ".

وبفضل مقدرة شاموش القصصية وتمكنه من رسم الشخصيات وما تتطلبه من أمور فنية، أوجد القاص المبرر المنطقي لذلك الانتقال في حياة يومياه الهادف إلى تطويرها وهو وجود فتاة صغيرة بعمر يومياه نفسه لدى تلك العائلة، والأكثر من ذلك إن تلك الصبية الفرنسية كانت تعاني من الوحدة والانطواء على نفسها جراء وجودها وسط مجتمع مختلف عن مجتمعها ولا تجد من يتحدث أو يفكر أو حتى يلعب معها، هكذا جاء هذا التكنيك الجميل من القاص مدروسا ومحبوكا جدا، وفوق هذا وذاك أوجد في الوقت نفسه شخصية ثانوية مع شخصيته الأولى في القصة صبية أخرى في عمرها ليسعد بها قراؤه الصغار.

ويستهل القاص حديثه عن بطلته الثانوية التي تدعى جانيت من خلال انسجامها ولعبها مع يومياه البطلة التي هي محور القصة برمتها قائلا:

úìåëúå øòùä úøéää ,äãåîçää äðè÷ä úáä úà åçëù äòù äúåà èðà×æ äúééä äîùá åàø÷å äá åøëæðùî .äîù èðà×æ -íéééðéòä úá äðåîùä úá äéîåé íò ÷çùîá äòå÷ù äðåîùä éöçå[٢٨] " لقد نسى الجميع في ذلك الحين البنت الصغيرة واللطيفة بشعرها الأشقر وعينيها الزرقاوين التي تدعى جانيت وحينما تذكروها ونادوا باسمها، كانت جانيت بنت الثامنة أعوام منهمكة في اللعب مع يومياه بنت الثمانية أعوام ونصف "[٢٩].

وعلى الرغم من كل ذلك اتبع القاص أسلوبا في تسلسل أحداث قصته وبناء شخصية بطلته الصغيرة من خلال التفكير واخذ الوقت الكاف للموافقة على انتقال يومياه من بيتها إلى بيت أسرة جانيت. فبعد أن قررت جانيت مفاتحة والديها برغبتها لمصاحبة يومياه لها في بيتها ونبذها لوحدتها بقولها: úéää ãáì úåéäì éì ñàîð ,ïàë éúéà úàæä äãìéä úà äöåo[٣٠] " أنا أريد هذه الفتاة معي هنا، فقد سئمت أن أكون وحيدة في البيت ".

وعلى الرغم من صعوبة طرح هذا الأمر على والدي يومياه، لكن جرى إقناعهما بعد أن افهمهما ولدهما ديالو إن شقيقته لن تكون خادمة بل ستصبح أشبه ببنتهما[٣١]، والملاحظ إن القاص يبوح هنا بشكل علني بعملية تطوير شخصية بطلته نتيجة هذا التحول من بيت أسرتها إلى بيت جانيت فيقول القاص : çúôúúå ãîìú åðìöà[٣٢] " عندنا ستتعلم وستتطور ".

وهكذا تتم الخطوة الأولى في عملية بناء شخصية يومياه بانتقالها إلى بيت أسرة جانيت لتعيش معهم في العاصمة، والملاحظ إن القاص يستهل هذه المرحلة بتقديم وصف دقيق لملامح يومياه وشكلها ووجهها وعيناها وكأنه يريد القول إن ثمة ولادة جديدة قد حظيت بها يومياه والتي قد تنجم عنها ولادة شخصية جديدة ومتطورة(٣٣).

وبالتدرج، تطلع يومياه على كل تفاصيل حياتها الجديدة وما يرافقها من أمور مظاهر التقدم والتطور، بل أخذت تعتاد على الطعام والأكلات التي تقدمها عائلة جانيت برغم اشتياقها لأكلات أمها.

وفي خضم هذه البداية الشاقة التي يستهلها القاص لا ينسى حرفته القصصية، إذ يحاول أن يظهر صبياً آخر يحظى باستحسان الصبيتين الشقراء والسوداء يدعى كيل وهو بطبيعة الحال يهوديا يعيش مع والديه في إحدى القرى(٣٤).

وأخذت يومياه تندمج مع محيطها وسط أسرة جانيت التي خصصت الآنسة (أليس) لتعليم البنتين كل شيء وسرعان ما أدركت يومياه إن الثقافة لا يمكن استيعابها دون القراءة والكتابة ومطالعة الكتب، وقد عبر عن ذلك القاص ببعض جمله التي تصب في هذا المجال منها: **äøäî ãò íéøôñá äéåöî äîëåçäù äéîåé äðéää**(٣٥) - سرعان ما فهمت يومياه إن الحكمة تكمن في الكتب "، كذلك أورد شاموش جملا قد تكون بمثابة الحافز أو التحدي الذي وضعته يومياه أمامها لتطوير نفسها من خلال تعلم القراءة والكتابة منها على سبيل المثال: **àì íéà÷éøôàä ãçàá äøôéñå äøåîä äôéñåä ,àåø÷ì åòãé àì áåúëì åòãé øåñîì ãåàî äù÷ çúôúäìå íã÷úäì åìëé àì ïëîìòå ,íéøåòéùä ïéà íà ,øåãì øåãî ,õøàì õøàî ,ùéàì ùéàî úåòéãé ìù úåøöåà íéòãåé ìò íéøáãä úà úåìòäì áúëä**(٣٦)

أضافت المعلمة قائلة في إحدى الحصص: إن الأفريقيين لم يعرفوا الكتابة ولا القراءة، لذلك لم يستطيعوا التقدم والتطور. ومن الصعب جدا تسليم كنوز المعارف من رجل إلى آخر ومن بلد إلى آخر ومن جيل إلى آخر إن لم يكن هناك من يعرف تدوين الأحداث في الكتب ".

وإزاء كل ذلك فقد انطلقت يومياه في المواظبة على التعلم بجد ونشاط وراحت تتقدم وتتطور وكانت تردد مع نفسها العبارة التالية: **äúééä ,àåø÷ì oäî úòãì äçøëåî éðà äîöòì úððùî :ìåëä .äáøä àåø÷ì äçøëåî éðà!** (٣٧) - كانت تردد مع نفسها: وأنا ملزمة أن أتعلم القراءة سريعا... وأنا ملزمة أن اقرأ الكثير. وكل شيء!".

والحقيقة إن القاص أراد أن يضرب عصفورين بحجر واحد، فتعلم القراءة والكتابة ليومياه كان يتم باللغة الفرنسية وهي بذلك تتعلم هذه اللغة الغريبة عليها فيومياه لا تعرف من هذه اللغة سوى كلمات قليلة، حسبما اخبرنا بذلك القاص في بداية انتقال يومياه إلى بيت جانيت.

وهكذا حقق القاص دعامتين أساسيتين في تطوير شخصية يومياه ورفع شأنها، أما الدعامة الثالثة التي استند إليها القاص وقد تكون الأساسية في جوهر عملية التطوير هي قدرة البطلة يومياه وذكائها وموهبتها في التعلم وسرعة التلقي والاستيعاب وربما كان هذا الأمر ضروريا من الناحية الفنية الخالصة لان مساحة القصة وعمر المتلقين سيما إنها صنفت كقصة للأطفال تحتم على شاموش أن يأخذ هذا الأمر بالحسبان.

وعلى أية حال، كان الأمر منطقيا فالأطفال في هذا العمر لهم قابلية عالية على التعلم وبسرعة، وقد حاول القاص أن يجعل من موضوع ذكاء يومياه أمر مسلما به لدى جميع شخصيات القصة وهذا ما نجده في بعض الجمل: **îòî ìîåòî äøòð éúùâô àì íîåòî úøùëåî äëîë-éúéëä àì éðà -.èéðà×â ìù äîéàì úøîåà ñéìà äøåîä úà íòô äòîù ,øôñá äòâð àìå úåà úøåö äúàø àì íîåòîù øôëä íî äãìéù äðéîàî úøùëåî ÷øäî äë ãîìú**[٣٨] وذات مرة سمعت أليس تقول لام جانيت: إنني لم التق مطلقا بصبية موهوبة مثلها. فأجابتها وأنا لم اكن اعتقد إن فتاة قروية لم يسبق لها أبدا أن رأت شكل الحرف أو لمست كتابا من قبل تتعلم القراءة والكتابة بهذه السرعة ".

ثم يحاول القاص استخدام دعامة أخرى مكملة لذلك، تدخل في المجال العرقي أو الاثني وهو سبق أن استخدم هذا الأمر في سياق القصة ولكن ليس بهذه الشدة من خلال مقارنة جمال يومياه كصبية سوداء مع جمال جانيت كفتاة شقراء، غير انه يجعل من هذا الأمر في هذه المرة بمثابة عقدة أو جرح يلازم شعور يومياه ويعيش معها، مما يتحول إلى حافز اخذ يصب في سياق التطور والتقدم ونمو شخصية البطلة. وتجلى ذلك في استغراب المعلمة أليس ووالدة جانيت من ذكاء يومياه وقدرتها على التعلم لكونها فتاة أفريقية وكأن قدرة التعلم والتطور مقتصرة على الناس البيض، فيقول القاص على لسان المعلمة وأم جانيت: **äìåëé úéà÷éøôà äãìé êéà ïéáäì äù÷ ùîî êì øîåà -ñéìà äøåîä äúðò -úøùëåî êë ìëå úéç÷ô êë ìë úåéäì äãìé úáùåé éðôìù íéîòôì úçëåù éðà äøåò òáö úåøîì ,úîàä úà ìëä éøçà ,úéà÷éøôà**[٣٩] أجابتها المعلمة أليس، من الصعب في الواقع فهم كيف يمكن لفتاة أفريقية أن تصبح ذكية لهذا الحد وموهوبة لهذه الدرجة- فقالت أم جانيت: أصدقك القول، بأنه وبعد كل هذا، وعلى الرغم من لون بشرتها فإنني أنسى أحيانا إن من تجلس أمامي هي فتاة أفريقية (٤٠).

وقد بلغ هذا الأمر ذروته حينما أخذت المعلمة أليس تتفاخر أمام بعض الضيوف الفرنسيين بمقدرة يومياه على التدريس دون مراعاة مشاعر الفتاة الأفريقية السوداء، لذلك فقد ولد هذا الإجراء كرها في قلب يومياه لمعلمتها وراحت تنعتها بالقبيحة، مع ذلك راح هذا الحدث يتحول إلى حافز آخر يشوبه شيء من الكره والبغض لشخصية المعلمة فأخذت يومياه تردد قائلة: **àéä òåãî,òåãî äîöò úà úìàåùå úøæåç äéîåé äúééä -?äøåçù éðàù éìò úîçøî íãàÎéðá íéøåçùä ïéà íää ?úéà÷éøôà úåéäì äùåá åæ íää ?íäî íéáåè úåçô åðà íää ?íéðáìä åîë÷åéãá** (٤١) " كانت يومياه تكرر توجيه السؤال لنفسها لماذا، لماذا تشفق علي لكوني سوداء؟ هل هو خزي أن تكون أفريقيا؟ هل إن السود ليسوا بشرا تماما كالبيض؟ هل نحن اقل طيبة منهم؟ ".

وهكذا، وبعد كل ما ثبته القاص من قابليات يومياه على التعلم واكتساب الثقافة والعلم، يجعل شاموش من تقادم الزمن ومرور السنين أمرا يؤدي إلى نمو شخصية يومياه وتطورها، إلا انه أضاف شيئا آخرا هنا مكملا لنمو شخصية بطلته ذلك هو جمالها الأفريقي الخلاب وهذا ما يفسر لنا محاولة القاص وضع مقارنة بين مميزات جمال بطلته يومياه ومميزات جمال الصبية الشقراء جانيت عند حديثه عن أوصافها. فيقول القاص بهذا الخصوص: **äéîåé .íéðù åôìç ,íéùãåç åøáò ,äúôéå äìãâ äîéëçää äìãâ**(٤٢) " مضت شهور وانقضت سنون وازدادت يومياه جمالا وثقافة ".

وعلى الرغم من كل هذه المسيرة المتجهة نحو التطور ونمو شخصية يومياه، غير إن القاص يبقيها مشدودة إلى بيتها وقريتها وقبيلتها بل وقلقة على مستقبل كل هذه المفردات، إذ قد يكون ذلك جزءا من حالة التطور لان تطور شخصية البطلة ينعكس بشكل إيجابي على بيئتها وعلى عموم بلدها.

ولكي يرينا القاص إن بطلته قد وصلت سن النضوج فانه يجعلها تفكر بالزواج والزوج وكيف سيكون هل هو من أفراد قبيلتها أفريقيا؟ أم من الأشخاص البيض، ولو عن طريق مخاطبة الذات دون البوح بذلك علنا(٤٣).

وهكذا يعيد القاص في إحدى نزهات عائلة جانيت بمعية يومياه التي اصبحت جزءا من الأسرة ومع ديالو شقيق يومياه الذي يتولى مهمة السائق، ظهور الصبي كيل الذي سبق أن أعجبتا به الصبيتين خلال تجوالهما في السوق، ولكن هذه المرة مع والده بصورة المنقذ(٤٤) الذي يخلص الأسرة من موت محقق(٤٥).

وبذلك فقد أوجد القاص هنا حافزا قويا للتعرف على هذا الصبي ليس لجانيت ويومياه المعجبتين به حسب، وإنما لمجمل أفراد الأسرة أيضا، فهو صبي إسرائيلي موجود في أفريقيا مع أسرته القادمة من إسرائيل لأجل تعليم أبناء هذا البلد الأفريقي في إحدى قراه حصرا تربية الطيور

وزراعة الخضراوات وقيادة التراكتور وتسميد التربة وتلقي العلاج وممارسة الحياة بصورة صحيحة[٤٦]، ثم يعرض القاص فكرة إقامة قرية كوريدوكو الأفريقية على طراز الكيبوتس الإسرائيلي بحسب طبيعة الإنسان الأفريقي والأرض الأفريقية، تلك القرية التي رأت النور بفضل أسرة كيل وبلده حيث تعمل أمه ممرضة بالمركز الصحي وأبوه في مجال الزراعة.

وفجأة يعود القاص إلى حافز تطوير شخصية يومياه وضرورة تعليمها المزيد فيقول: " كلما أكثرت يومياه من التفكير فيما رأت في كوريدوكو، كلما اتضح لها بأنها كثيرة هي الأمور التي لا تعرفها حتى الآن. وكانت تردد مع نفسها: يجب علي أن أتعلم، وأتعلم الكثير لكي يصبح بإمكاني أن اعمل في إحدى المرات "[٤٧].

ثم يطرح شاموش بعد ذلك سؤالا حول المكان الذي تتعلم به يومياه لاكتساب المزيد من اجل تطوير شخصيتها وصقل موهبتها، وكان أسرة جانيت والمعلمات اللاتي يقمن بتعليمها وتوفير المعارف لها، لم تعد كافية ليومياه في المرحلة القادمة، إلا إن أسرة يومياه ربطت هذا التعلم والتطور بتطوير واقع قريتها والإفادة مما رأت عيناها في كوريدوكو " فكل اهتمامها كان منصبا في هذه اللحظة على قريتها واختلطت في مخيلتها القريتان كوريدوكو وبوبوكادينكا وأصبحتا قرية واحدة "[٤٨].

وعلى هذا الأساس ترتسم إسرائيل في مخيلة يومياه بوصفها المكان الأنسب لهذا التعلم ونقل الخبرة إلى قريتها وأهلها من أي مكان آخر مثل فرنسا سيما إنها بلد الأسرة التي تبنت تعليم يومياه وتطويرها، وهكذا بدأ هذا الأمر كحلم وسرعان ما تحقق بفضل أسرة كيل بعد إن تم اخذ موافقة زعيم قريتها والعراف ووالدها بطبيعة الحال.

وتبدأ مرحلة جديدة من تطوير شخصية يومياه وبناء كيانها الذاتي، يستهلها القاص بعد إكمال دراستها في إسرائيل وتعلمها المزيد من الأمور وعودتها إلى أفريقيا، ويقول شاموش حول ذلك: " ... وكانت فيها يومياه أخرى، حيث تغيرت كثيرا طوال سنوات دراستها في إسرائيل، فها هي منتصبة القامة، وتعمقت نظرتها وجديتها وازدادت شخصيتها ثقة بالنفس، ورضخ شعرها المتمرد لتسريحة بيضاء..." [٤٩].

والملاحظ إن القاص يحاول أن يربط المظهر الخارجي ليومياه مثل شعرها وطريقة تسريحه وشكل الملابس وأنواعها وحتى ألوانها مع مدى تبلور شخصيتها وتعلمها ونمو قدراتها الثقافية والعلمية، لذلك يصفها بعد عودتها من إسرائيل قائلا: " وبصعوبة تعرفوا عليها، فقد كانت عيناها بقيتا العينين نفسهما الخاصتان بالقبيلة والمخصوصتان بيومياه كبيرتان ومتيقظتان وبصيرتان وجميلتان "[٥٠].

ويعمد القاص شاموش إلى إنهاء علاقة يومياه مع كيل إنهاء قدريا ربما جراء الإشكالية التي أوجدها القاص بتعلق جانيت بكيل من خلال الحادثة التي أدت إلى قتله وأبيه في إحدى الطرق

المتعرجة في ضواحي كوريدوكو[٥١]، وقد يكون إن القاص أراد أن يقدم هنا الإسرائيلي بصورة المضحي بحياته من اجل الآخرين بعد إن كان منقذا.

وعلى الرغم من ذلك يبقي القاص بطلته يومياه على علاقة بإسرائيل وبالوسيلة ذاتها التي ربطتها مع عائلة جانيت الفرنسية والمتمثلة بشقيقها ديالو الذي اصبح يعمل سائقا لدى السفير الإسرائيلي في العاصمة[٥٢]، ربما لان تطور شخصية يومياه ونمو قدراتها سينعكس بشكل إيجابي على واقع قريتها وقبيلتها وأسرتها وعموم بلدها.

وهذا ما تحقق من خلال سعي يومياه لإدخال التحسينات والتطويرات على قريتها وإدخال الكهرباء والهاتف وإقامة المستوصف والمدرسة ومحاربة العادات والتقاليد السيئة وتجنيد كافة الأشخاص المتنفذين في القرية معها.

وإكمالا لنمو شخصية يومياه وبلوغها سن الزواج وسعيها لتحقيق ما تصبو إليه من إدخال تطويرات على واقعها،يبرز القاص شخصا أخرا في حياتها وهذه المرة من أبناء بلدها فيقول شاموش: **ìà äòñðå àåôéà äî÷ .øáâ ,úéøáÎïá éì ùåøã úà éì êà... åáéãåî**[٥٣]

" من اجل ذلك فأنا بحاجة إلى حليف رجل. لذلك عزمت على السفر إلى موديبو ".

وهكذا ينضم موديبو إلى يومياه ليشاركها في جهودها التي تبذلها من اجل بلدها فيقول القاص: **äéìà óøèöäìå åâåãéøå÷á åúåäù úà øö÷ì íéëñä àåä åáéøôäî**[٥٤]

" وافق على اختصار إقامته في كوريدوكو والانضمام إليها بسرعة ".

والملاحظ إن دراسة يومياه في إسرائيل وتعلمها أمور عدة تعد المرحلة الأخيرة والحاسمة من صقل شخصيتها ونموها، ويبدو إن يومياه قد تعلمت اللغة العبرية بل ودرست التناخ (الكتاب المقدس لدى اليهود) لذلك فقد اصبحت علاقتها حميمية مع السفير الإسرائيلي في بلدها وهي تلجأ إليه كلما صادفت مشكلة ما أو واجهت خطب ما، لذلك يقول القاص في محادثة بين يومياه والسفير الإسرائيلي: **áéùäå øéøâùä ÷çö -éøîâì êúåà åì÷ìé÷ ìàøùéá íééúðù äì éèîåéì äì**[٥٥] " ضحك السفير وهو يرد على يومياه بقوله- سنتان في إسرائيل قد صقلتك تماما ".

كذلك يبدو إن القاص قام بتهويد يومياه وجعلها يهودية من الناحية العلمية والفكرية فهي أخذت تعمل بأقوال التناخ وتستشهد بها أمام أبناء جلدتها قائلة: **íéôøé? íúà íéôøé?**[٥٦] خاملون انتم خاملون ".

والملاحظ إن الشخص اليهودي الذي يقرن حديثه بآيات من العهد القديم يعد من المتمسكين بالتعاليم اليهودية، ترى هل باتت يومياه من ذلك النوع من اليهود؟

وتجدر الإشارة إلى إن المعلمة الأولى (أليس) التي تولت تعليم يومياه جملة من الدروس بصحبة جانيت كانت هي الأخرى يهودية على ما يبدو حيث تقتبس يومياه من دروس التناخ التي درستها ذات مرة مع الآنسة أليس العبارة التالية çúôîë øâåç ìîäúé ìà(٥٧) " لا يفتخرن متأهب كالمتراخ ".

وشيئا فشيئا ونتيجة للتقارب والتعايش لفترات طويلة بين يومياه وموديبو يكتشف الاثنان علاقة الود بينهما فيتزوجان وينجبان طفلهما البكر، وهكذا تصبح يومياه الصبية الأفريقية وبطلة القاص شاموش غير المتعلمة، شابة متزوجة من موديبو مع طفلها البالغ سنتين من العمر، مثقفة ومتعلمة وتجيد اللغة الفرنسية والعبرية وتستشهد بآيات من التناخ عن ظهر قلب وكأنها أضحت يهودية اكثر مما هي أفريقية.

وقد اختزل القاص هذه المسيرة الطويلة من تطور ونمو هذه الشخصية (أي يومياه) في القصة بهذه الجملة القصيرة التي يوردها القاص في آخر صفحة: " إن يومياه الأم لم تكن اقل نشاطا من يومياه الصبية (٥٨).

وبذلك قدم القاص شاموش حبكة قصصية جميلة للأطفال من أبناء جلدته من خلال الشخصية الأولى لقصته (بطلة القصة- يومياه) التي سار معها وهي صبية أفريقية جميلة ونشيطة يعوزها التعليم وتفتقر لمعرفة الحياة المتحضرة والطبيعية ثم يشرع بتطويرها من خلال تعليمها وتثقيفها وتدريسها اللغات ثم تنمية قدراتها وإرسالها إلى إسرائيل وفق إطار درامي قصصي جميل ومبرر وتلقيها معلومات تخص الحياة في قريتها وجعلها تقيم علاقات وطيدة مع الأشخاص الذين يمثلون إسرائيل في بلدها (السفير الإسرائيلي) وأخيرا كدليل على نضجها وتكاملها اقترانها بموديبو وإنجابها طفل، ربما أراد القاص من هذه الحبكة وهذا التسلسل المنطقي لإحداث تطوير الشخصية أن يثبت للأطفال إن إسرائيل بطريقة دعائية قصصية واضحة تصنع الرجال والنساء وتقدم المساعدات لكل من يحتاجها من اجل التقدم والتطور!!

واهم استنتاج تخلص إليه هذه الدراسة لعنصر الشخصية (البطل) في هذه القصة شاموش والتي أطلقنا عليها تسمية قصة الشخصية والمخصصة للأطفال والشباب، إن مقدرة شاموش الفنية وتمكنه من استخدام العناصر الأساسية للعمل القصصي تتيحان له تقديم إنتاج قصصي ناجح ومجدي ويلاقي قبولا لدى القراء المخصص لهم، كما تتيحان له التعبير عن أفكاره وما يريد ترويجه عبر هذا الفن الجميل.

الهوامش :

١. مجدي وهبة والمهندس ، كامل ، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص٤٥ .

٢. اولتنبيرند ، لين ، لويس ، ليزلي ، الزجيز في دراسة القصص ، ت عبد الجبار المطلبي ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٨٣ ، ص١٣١-١٣٢ .

٣. هلال، محمد غنيمي، النقد الأدبي الحديث، دار الثقافة ودار العودة، بيروت، ١٩٧٣، ص٥٦٢.

٤. اولتنبيرند ، لين ، المصدر السابق ، ص١٣٢-١٣٣ .

٥. هلال ، محمد غنيمي ، المصدر السابق ، ص٥٦٥ .

٦. المصدر السابق ، ص٥٦٦ .

٧. الشيخلي ، صباح ناجي ، تأثير رواية (دون كيخوته) لسرفانتس برواية (مختصر رحلات بنامين الثالث) لمندلي موخير سفاريم، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية اللغات ، ١٩٩٧، ص٣١٢ .

8. Isaiah , Rabinovich , Major Tends in Modern Hebrew Fiction, Tr From the Hebrew by M. Roston , the University of Chicago Press , Chicago and London , 1968 , P. 3 .

٩. القبالاه : حركة صوفية ظهرت في القرن الثالث عشر نبذت الفلسفة لمعرفة ماهية الرب والعالم واتخذت من الباطنية أساساً فكرياً لها ، تعتمد على كتاب هزوهر المنسوب الى الحاخام شمعون بار يوحاي ، أنظر: عبد المجيد، محمد بحر، اليهودية، مكتبة سعيد رأفت ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص١٥٣ .

١٠. الحسيدية : حركة دينيو - صوفية نشأت في بولونيا أبان القرن الثامن عشر وأمتدت خلال فترة زمنية قصيرة بين يهود بولونيا وأوكرانيا وكاليسيا وبنسبة أقل من يهود لتوانيا وروسيا البيضاء ، أنظر : : íéìùåoé ,úéãääé äéãôåì ÷ éöðà ,á ÷ òé,øðæáô
167 ×îò ,1970

١١. الشيخلي ، صباح ناجي ، المصدر السابق ، ص٣١٣ .

١٢. عوف ، عبد الرحمن ، ت ، الأدب العبري الحديث ، مكتبة سعيد رأفت ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص٨٠-٨٢ .

13. õéáåðéáø äéòùé ,øåää úùôçî úéøáòä úåøôñä ,äãñî ,íéìùåoé ,1967.
13 ×îò

14. الشيخلي، صباح ناجي، ***المصدر السابق***، ص ٣١٣.

15. امنون شاموش روائي وكاتب قصة قصيرة وشاعر ولد في مدينة حلب في سوريا عام ١٩٢٩، بدأ الكتابة في سن الأربعين بعد أن تخلى عن واجباته كمدير للمدرسة العليا الإقليمية وعن الوظائف المهمة في الكيبوتس ويقول شاموش حول ملكة الكتابة لديه: "

الكتابة أنا اسمح لغرائزي وللشخصيات التي ابتدعها أن تقودني وليس العكس ".

في

لمزيد

من المعلومات حول هذا الأديب العبري، انظر: الربيعي، عماد سعيد دعيبل، ***الحنين إلى حلب وتراثها اليهودي والعربي في أدب امنون شاموش***، رسالة ماجستير غير منشورة،

جامعة بغداد- كلية اللغات، ١٩٩٦، ص ٤٩، ٥٤.

16. الرفيعي، اسعد حميد محسن، ***اتجاهات قصص الأطفال في الأدب العبري الحديث***، رسالة

ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد- كلية اللغات، ١٩٩٩، ص ٨٠.

17. ùåîù ,ïåðîà ,äéééç –äéîåé ,úéà ÷ éoôà äoòð ìù äéééç –äéîåé ,óñàéçà ,àØú ,1969.

^9 ×îò

18. *íù* ,îò× ^31

19. *íù* ,îò× ^12

20. *íù* ,îò× ^36

21. عبيد، مثنى محمد، ***مشروع ترجمة قصة يومياد- حياة شابة أفريقية***، غير منشور، جامعة

بغداد- كلية اللغات، ٢٠٠٤، ص ٢٣.

22. ùåîù ,ïåðîà ,*íù* ,îò× ^36

23. *íù* ,îò× ^37

24. *íù* ,îò× ^9

25. *íù* ,îò× ^139

26. *íù* ,îò× ^140

27. *íù* ,îò× ^9

28. *íù* ,îò× ^10

29. عبيد، مثنى محمد، ***الترجمة السابقة***، ص ٢.

30. ùåîù، ïåðîà، ***íù***، îò× ١٨.

31. انظر نص ترجمة القصة، ص ١٠- ١١.

32. ùåîù، ïåðîà، ***íù***، îò× ٢٠.

33. ***íù***، îò× ٣١.

34. انظر نص ترجمة القصة، ص ٣٠.

35. ùåîù، ïåðîà، ***íù***، îò× ٤٥.

36. ***íù***، îò× ٤٦.

37. ***íù***، íù.

38. ***íù***، íù.

39. ***íù***، îò× ٤٦ -٦٤٧

40. عبيد، مثنى محمد، ***الترجمة السابقة***، ص ٣٢.

41. ùåîù، ïåðîà، ***íù***، îò× ٤٨.

42. ***íù***، îò× ٥٢.

43. عبيد، مثنى محمد، ***المصدر السابق***، ص ٤٠.

44. ولو إن الحبكة القصصية توجب هذه التسمية (المنقذ)، ربما لكي يكون اقرب الى البطلة

يومياه من حيث أحداث العمل القصصي، غير انه يبدو إن هذه التسمية تعيش في وجدان اليهود من خلال ما يطلق عليه في العقيدة اليهودية المنقذ أو المخلص (šÁÍã) الذي يأتي

بالخلاص (ðšÍÁã). فقد نجد العديد من الأدباء اليهود ينسجون أعمالا أدبية تخصص لهذا

المعتقد العقائدي!! للوقوف على هذه التسمية، انظر:

ظاظا، د. حسن، ***الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه***، مكتبة سعيد رأفت، ١٩٧٥، ص ١١٢.

45. لمتابعة هذا الجزء من أحداث القصة، انظر الترجمة العربية، ص ٤٩- ٥٠.

46. ***المصدر السابق***، ص ٥٢.

47. ***المصدر السابق***، ص ٦١.

48. ***المصدر السابق***، ص ٦١.

49. *المصدر السابق*، ص ٦٩.
50. *المصدر السابق*، ص ٧٦.
51. *المصدر السابق*، ص ٧٣.
52. *المصدر السابق*، ص ٧٧.
53. ùâîù ,ïåðîà ,íù ,îò× 105^
54. íù ,îò× 106^
55. íù ,îò× 126^
56. íù ,îò× 122، انظر أيضا: ùâîù ä× úé æ.
57. ùâîù ,ïåðîà ,íù ,îò× 116، انظر أيضا: îíéëì à× ë éà.

وقد ترجمت هذه الآية في النسخة العربية للعهد القديم " لا يفتخرن من يشد كمن يحل "؟؟ولعدم قناعتنا بالترجمة ارتأينا ترجمة النص حسبما ورد في متن البحث.

58. نص الترجمة العربية، ص ١١٣.